أحبابي الموتى *

للأستاذ أنور العطار

فيا عهدهم لازلت نضرا على البلى ترف رفيف النور فى أضلع الزهر

أحن إليكم كلما ذر شارق وأبكيكم ماعشت فى السر والجهر
أحبای یا سؤلی ویا غایة المنی طویتم ضلوع القلب فی علی الجمر
وبت أناجيكم وأهفو إليكم وأصبو إلى لقياكم آخر الدهر
كأنى لحن الحب قيثارة الهوى أنوح على الأحباب بالأدمع الحمر
أصوغهم شعرا يفيض مواجعاً وأنظمهم عقدا يتيه على الدر
وأودعهم قلباً تقطع حسرة عليهم ، وعيناً دمعها أبداً يجرى
فياعهدهم لازالت نضراً على البلى ترف رفيف النور فى أضلع الزهر
ويا طيفهم زدنى اشتياقا ولوعة يزدك الهوى ماشئت من دامع الشعر

* * *

فيا أيها الغادون لا البين صدهم ولا حجبت أنوارهم ظلمة القبر
جفونى مأواهم ، ضلوعى قبورهم فيا لقبور خطها الحب فى صدرى
سلوا الجفن هل طافت به سنة الكرى
سلوا الليل هل دارت به مقلة الفجر
إلى الله أشكو ما أقاسى من النوى وما يتترى فى الخواطر من ذكر
بروحى أنتم من محبين ودعوا فودعت أفراحى وفارقنى صبرى
ولم تؤوني الأرض الفضاء كأننى سجين أقضى العمر فى التنى والأسر
بعيد عن السلوان ، سفر من الألى أشاع هواهم لذة الشعر فى ثغرى
فهل علم الأحباب أن خيالهم سميرى فى حلو الحياة وفى المر
إذا نسى الإنسان فى اليسر صحبه فلا خير فى التذكار فى ساعة العسر
أيامنا لا زلت معسولة الجنى كروض شذى رف فى حلل خضر
أناجيك بالقلب اللهيف من الجوى وأرعاك بالود البرئ من الغدر
وأسقيك دمع العين سقيا كريمة
إذا ضن جفن السحب بالساكب القطر
سلام على تلك العهود فإنها أمدت خريف العمر بالورق النضر
وزانت أناشيدى ووشت مدامعى فمن لؤلؤ نظم إلى لؤلؤ نثر
وما شئت من ظل رخى ومن شذا وما شئت من طير يغنى ومن نهر
أمانى فى زهو الحياة وفجرها مرصعة الأفياء بالمتع الغرى
أراك بعين قد تنكر دهرها وما ألفت إلا الوفاء على النكر
وأصبو إلى ذكراك والذكر راحة لمن عاش فى الهم المبرح والخسر
وأشتاق ألاقاً سقانى ودادهم
كؤوس الهوى حتى انتشيت من السكر
وحتى كأن الدهر طوع أناملى ينولنى قصدى ويبلغنى أمرى
إذا زرتنى يا طيفهم فى حمى الكرى فقد زارنى سعدى وعاودنى بشرى
وأشرقت الدنيا بعينى وازدهت ليالى بالأنوار والأنجم الزهر
وهون ما ألقاه من لاعج الضنى وخفف ما أشكوه من ثائر الفكر

* * *

مررت على الدار التى غالها البلى وقوضها حتى استحالت إلى قفر
فتازعنى قلب يذوب صبابة إليها ، ودمع لا ينهنه بالزجر
أطوف بها والروح يعصرها الشجا ويعمرها بالبشر حيناً وبالذعر
هنا الأهل والأحباب والقصد والمنى
هنا الملتقى بعد القطيعة والهجر
هنا تجثم الذكرى هنا ترقد الرؤى هنا الموت يبدو فى غلائله الصفر
هنا يقرأ الإنسان سفر حياته ويا هول ما يلقاه فى ذلك السفر
صحائف إن قلبتها ازددت حسرة على ما بها من غائل الغدر والشر
هنا العبرة الكبرى التى دق شأنها وأعوزها سبر فأعيت على السبر
هنا يخشع القلب الشجى مرددا كتاب الردى المختوم سطراً إلى سطر
بنفسى أرواح رقاق حبيبة مضمخة الأعطاف مسكية النشر
تأرج بالذكرى وتعبق بالهوى كأن بها عطراً أبر على العطر
أعيش بها جذلان يسعدنى الرضا ويقتعنى منها الخيال إذا يسرى

* * *

سلام على الأحباب إن طيوفهم لتملأ هذا الفكر بالنائل الغمر
ولولاهم لم أجن ريحانة الهوى ولولاهم ما شمت بارقة العمر

(*) من ديوان « وادى الأحلام » الماثل للطبع